ثانيا : رسالة التوابع والزوابع (لابن شهيد الأندلسي) :

التوابع والزوابع : لغة : التوابع : جمع تابعة ومعناها الجني أو الجنية اللذان يكونان مع الإنسان يتبعانه أينما يذهب ، أما الزوابع : فجمع زوبعة وهو اسم للشيطان أو رئيس الجن .

أما اصطلاحا : فقد اطلقت تسمية التوابع والزوابع على رسالة كتبها ابن شهيد متصورا نفسه في رحلة خيالية مع جني يسميه (زهير بن نمير) يرحل به إلى أرض الجن فيلتقي بتوابع الشعراء ، والرسالة عبارة عن مجموعة فصول يدرجها الباحثون ضمن الإطار القصصي ، افترض الشاعر هذه الرحلة إلى عالم الجن ليقابل الشعراء والكتاب العرب ممن سبقه فيجري المحاورات والمناظرات الأدبية على لسان توابعهم فينتزع إعجابهم بشعره بعد أن يسمعهم أمثلة منه .

أقسام الرسالة :

أورد ابن بسام رسالة التوابع والزوابع في كتابه (الذخيرة) وهي موجهة إلى شخص يدعى (أبو بكر بن حزم) وقد أورد ابن بسام مقدمة للرسالة سماها (صدر الرسالة) وجعله مدخلا ليعلل فيه رحلته إلى عالم الجن .

وقد علل ابن شهيد براعته الشعرية إنه في مطلع حياته مات من كان يهواه فجزع عليه جزعا شديدا ثم حاول رثاءه ولكنه نظم أبياتا قليلة وعجز عن النظم فأسعفه فارس يمتطي فرسا أدهم فيسأله ابن شهيد عن شخصيته فيخبره بانه (زهير بن نمير) من أشجع الجن ثم تتفق الصحبة بينهما ، ويصبح تابعا لابن شهيد يستدعيه متى يشاء .

ويأتي بعد المدخل فصول أربعة هي :

الفصل الأول : يلتقي فيه ابن شهيد بتوابع الشعراء بعد أن يرحل مع زهير بن نمير على متن جواده الطائر ويقطع المسافات حتى يصل إلى أرض متفرعة الشجر عطرة الزهر يعلم من صاحبه أنها أرض الجن ، فيسأله زهير بمن يبدأ اللقاء فيقول أبو عامر : " الخطباء أولى بالتقديم لكني إلى الشعراء أشوق " . ثم يلتقي بتابع امرئ القيس وطرفة بن العبد وقيس بن الخطيم من الجاهليين , وبتابع أبي تمام والبحتري والمتنبي من العباسيين وغيرهم من الشعراء , فيجري معهم المحاورات والمناظرات الشعرية وينتزع إعجابهم بشعره ويحصل على إجازتهم برواية أشعارهم وقد بلغ الإعجاب ببعضهم أن عده مشرقيا .

Scanned with CamScanner

الفصل الثاني : يلتقي فيه بتوابع الكتاب يسميهم (الخطباء) فيلتقي بتابع الجاحظ وعبد الحميد ويقرأ عليهما رسالته في صفة البرد والنار فيستحسناها ثم يورد رسالته في الحلواء ثم ينتقل إلى وصف برغوث وثعلب ويلتقي كذلك بتابع بديع الزمان حيث يصف له جارية ويصف الماء ويسترسل على هذا المنوال حتى يحظى بإعجاب الكتاب وإجازتهم إياه .

الفصل الثالث : هو (نقاد الجن) ينتقل ابن شهيد مع تابعه إلى مجلس من مجالس الجن فيتناكر معهم ما تناولته الشعراء من المعاني ومن زاد فأحسن ومن قصر عن ذلك ثم يورد أمثلة لبعض الشعراء وفي هذا الفصل تظهر براعة ابن شهيد النقدية .

الفصل الرابع : هو (حيوان الجن) : ويقسم على قسمين :

يلتقي أولا بقطيع من الحمر والبغال يحتكمون إليه في قصيدتين فيحكم بينهما .

وفي القسم الثاني يقف على بركة ماء يتحدث مع إوزة بيضاء شهلاء يصف جمالها وحركتها وحسن سباحتها ، فيسأل زهيرا عنها فيخبره أنها تابعة لشيخ من مشايخ الأنس فتحاول مناظرته في النحو والغريب ولكنه يزجرها ويذكرها بحمقها .

وهنا تنتهي فصول الرسالة أو ما بقي منها .

مصادر الرسالة :

استقى ابن شهيد فكرة رسالته من :

١- التراث العربي : إذ يتصل بإيمان شعراء الجاهلية بالشياطين التي تعينهم على قول الشعر .

٢- حادثة الإسراء والمعراج التي ثبتت صحتها في القرآن الكريم والسنة النبوية . وهي انتقال من عالم إلى عالم آخر .

أهمية الرسالة وقيمتها الأدبية :

للرسالة أهمية تكمن في :

١- مضمون الرسالة : إذ تعد هذه الرسالة بكرا في مجال الرسائل الأدبية تفتق عنها ذهن ابن شهيد .

٢- أسلوب الرسالة : تمتلك الرسالة إسلوبا أدبيا متميزا فقد مزجت بين الشعر والنثر باسلوب قصصي يتضمن الحوار ومن خصائص الرسالة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وتوظيف المحسنات البديعية بشكل معتدل وبذلك فهي تمثل إنموذجا متميزا في الأدب الأندلسي في القرن الخامس الهجري .

٣- الناحية النقدية : تمثل هذه الرسالة نزعة نقدية استقوت في القرن الخامس الهجري حاولت إثبات التفوق للأندلسيين .

Scanned with CamScanner

الرسالة بين التجديد والتقليد :

هناك رسالة في الأدب العربي تتشابه مع رسالة التوابع والزوابع وهي رسالة الغفران لأبي العلاء المعري فهي تحمل الفكرة ذاتها وهي رحلة من العالم الحسي إلى العالم الغيبي ، يتمثل بالآخرة عند المعري وقد حملت ذات الإسلوب القصصي غير إن المعري كان ميالا إلى الدين والفلسفة . ونتيجة لهذا التشابه انقسم الدارسون لهاتين الرسالتين على ثلاثة أقسام :

قسم يرى أن ابن شهيد كان مقلدا للمعري وهذا رأي غير صحيح لإن المعري متأخر عن ابن شهيد .

والقسم الآخر يرى أن المعري كان مقلدا لابن شهيد وهذا رأي ضعيف لإنه لا توجد إشارة تشير إلى وصول رسالة التوابع والزوابع إلى المشرق في زمن المعري .

والقسم الثالث يرى أنه لاتوجد صلة بين الرسالتين وذلك لإنهما نصان أدبيان من إقليمين متباعدين .

ومن الباحثين من يرى أن سبب التشابه هو عودة الأديبين إلى أصول واحدة استمدا منها فكرة الرسالة ، أما فكرة شياطين الشعراء فقد سبق إليها بديع الزمان الهمذاني في مقامته الإبليسية .

وخلاصة القول : إن فكرة تأثر ابن شهيد بأبي العلاء تنتفي نفيا تاما ، وإذ كان لابد من وجود متأثر فإن أبا العلاء هو المتأثر بابن شهيد .

Scanned with CamScanner

أثر الأدب الأندلسي في الآداب الأوربية :

كان الأدب العربي في الأندلس من الروافد التي صبت في الأدب الاسباني بوجه خاص وفي الآداب الأوربية بشكل عام ولم يقتصر الأمر على الأدب بل تجاوزه إلى مختلف فروع الثقافة والعلوم .

ويقر أكثر الباحثين إن الأندلس كانت المنفذ الذي عبرت منه الثقافة إلى أوربا في القرون الوسطى . وإن تأثير الحضارة العربية في الحضارة الأوربية لم يقترن بسيادة دولة المسلمين في الأندلس بل استمر لإن العرب تركوا في الشعبين الاسباني والبرتغالي الشئ الكثير .

مجالات التأثير في الحضارة الأوربية :

1- أثر اللغة العربية في اللغة الإسبانية :

هناك محاولات عدة رصدت أثر اللغة العربية في اللغتين الاسبانية والبرتغالية ومنها ما قام به بعض المستشرقين كإعداد معجم لغوي يحصي الألفاظ ذات الأصول العربية وبعض الدراسات عن أثر العربية في اللغة الإسبانية ، والتي أتضح من خلالها مدى حاجة اللغة الاسبانية للألفاظ العربية وذلك لمواكبة الحياة والتطور .

وهناك بعض الباحثين العرب وقفوا عند التأثير العربي في الثقافة الأسبانية فوجدوا أن التأثيرات العربية لا تقتصر على الآثار والأطلال المتبقية هناك بل هي ظاهرة شائعة في أخلاق القوم وطباعهم وعاداتهم . ويشير إلى إنه هناك أكثر من سبع عشرة بالمائة من مفرداتهم تعود إلى أصول عربية فهم يستعملون صوتي الخاء والثاء والإسبانية هي الوحيدة بين اللغات اللاتينية التي تستعملهما ، كذلك استعمال ال التعريف التي دخلت على كثير من الكلمات .

2- أثر الشعر الأندلسي في الشعر الغنائي الأوربي :

درس الباحثون أبعاد التأثير الذي أحدثه الأدب الأندلسي في الأدب الأوربي من حيث الشكل والمضمون خاصة في الأدب الاسباني والفرنسي .

لقد أثر الأدب الأندلسي في الأدب الأوربي بشكل واضح إذ غير مضامينه وصوره بعد أن كان اغريقي الموضوع لاتيني اللغة بعيدا عن الجمهور ثم أتصل بالجماهير بعد أن كتب بلغتهم الوطنية ، وكان هذا التحول بسبب إتصاله بالأدب العربي ، لقد مد الأدب العربي أوربا بالنماذج الأدبية التي كانت تحتاج إليها وحول أدبها إلى اتجاهات جديدة كانت السبب في انطلاقها في طريق السمو الفني لتضمينها لونا جديدا من الأفكار والمعاني .

لقد أثر الشعر العربي في بواكير الشعر الغنائي الأوربي فظهر شعر التروبادور في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي دون أن تعرف له جذور أوربية , ويرى البعض أنه متأثر بالشعر

Scanned with CamScanner

الأندلسي خصوصا موضوعات التجديد كالموشحات والأزجال وشعر الطبيعة والغزل ، ويرى بعض الدارسين أن التأثير جاء بشكل القصيدة وموضوعها . ويقال أن أصل كلمة تروبادور مأخوذ من كلمة تروب ومعناها فرقة واللفظة العربية تدور , والمقصود بها فرقة غنائية تدور .

ويرى بعض الدارسين أن شعر التروبادور لم يتأثر بمفهوم الحب الذي تصوره الموشحات وإنما تأثر بأفكار بعض المصادر الأندلسية ومنها كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الأندلسي .

3- أثر القصة العربية في القصة الأوربية :

لقد أثر القصص العربي في القصص الأوربي وقد أكد بعض المستشرقين على ذلك فقال أحدهم : " من المسلم به عموما أن أوربا استوردت من العالم الأسلامي قصصه وروايته وحكمه وأمثاله " ، وأكد آخر على أن مجموعات قصصية عربية ترجمت إلى الفرنسية والألمانية والايطالية والإنجليزية وتولدت منها سلسلة من الروايات ، إن أي دراسة لتاريخ القصة في أوربا لا يمكن أن تهمل الجذور العربية التي تأثرت بها , حين ظهرت قصص ذا طابع شعبي متأثرا بالقصص الشعبي في الأدب العربي وأحدثت انقلابا في فنون الأدب لدى غرب أوربا التي اقتصرت على القصص الخرافية والملاحم الأسطورية .

تؤكد الدراسات أن مصادر القصص التي تركت آثارها في الأدب الأوربي هي ثلاثة :

1- المصدر الأول : القصص العربية التي انتقل إلى أوربا بعد ترجمتها ومنها القصص المشهورة ذات الأصول الهندية كـ (كليلة ودمنة , وقصة السندباد)وغيرها .

2- المصدر الثاني : المقامات والتي تبدو آثارها واضحة في القصص البيكارسي والمقصود به (قصص الشطارة) ويشير أحد الباحثين إلى أن هذه القصص تطابق المقامات العربية تطابقا كبيرا .

3- المصدر الثالث : قصة (حي بن يقظان) للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل (ت 581هـ) , وقد ترجمت إلى اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة , وتأثيرها واضح في قصة (روبنسون كروزو) التي ألفا دانيل دي فو .